ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: http://arid.my/j/aijssh

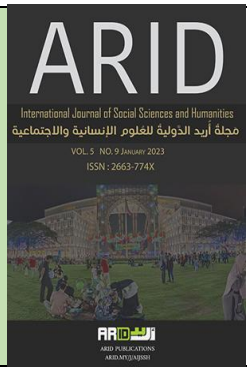

مَجلةُ أُريد الدَّوليةُ للعُلومِ الإنسانية والإجتماعية

العدد التاسع، المجلد الخامس، كانون الثاني 2023 م

التكوين الروحي مدخلا لمقاربة تجليات الحداثة السائلة زمن جائحة كورونا

سعيدة إبراهيم سوهال

ثانوية الساقية الحمراء -خريبكة-المملكة المغربية

Spiritual formation as an introductory approach to aspects of fluid modernism during the COVID 19 pandemic

Saida Ibrahim Souhal

El Sakia El Hamra high school-Khouribga Morocco

saidasouhal@gmail.com
Arid.my/0001-4649
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2023.599

ARTICLE INFO

Article history:
Received 24/08/2022
Received in revised form 22/09/2022
Accepted 12/11/2022
Available online 15/01/2023
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2023.599

ABSTRACT

The present study comes amid the consequences of COVID 19 which the world is undergoing. I consider this pandemic as the most important signpost of this fluid modernism and by Allah's willing it would be the last aspect. All aspects of fluid modernism have been clearly shown during the pandemic and have evaded all aspects of human life. The criteria of values have been turned upside down since the nonsense has gained sense and uncertainty becomes the only certainty. This fact has made life frightful after the invasion of uncertainty and removal of spirituality, sacredness and religious certainty. This situation justifies the global anxiety in which the world is living in addition to the ambiguity that envelopes the true nature of COVID 19.

The study has tried to foreground the most important aspects of fluid modernism and its consequences on individual and society as a whole. The study has adopted a critical reactionary approach to conclude that humanity today is in a critical need for a solid spiritual basis to conquer the fluid modernism. Conquering this modernity could not take place easily unless there is a spiritual formation based on sound religion and true religious teachings which would help found strong spirit that would afford Man the ability and capability to overcome crisis of fluid modernism and instill in her/ him values of solidarity and social support and spread the concept of tranquility.

Keywords: spiritual formation, fluid modernism, the pandemic, spiritual values critical approach.

الملخص

راهنية هذه الدراسة تأتي في خضم ما يعيشه العالم من تداعيات جائحة كورونا التي أرى أنها من أهم محطات الحداثة السائلة إن لم أقل آخرها بحول الله، فكل مظاهر الحداثة السائلة تجلت وبحدة في زمن هذه الجائحة؛ حيث تسربت السيولة إلى كل نواحي الحياة، وانقلب هرم القيم حتى صار اللامعنى واللاغاية واللايقين هو اليقين الوحيد، كل هذا يجعل الحياة مملوءة بالمخاوف الناتجة عن عدم اليقين بعد إزاحة الروحانيات والمقدسات واليقين الديني؛ لذلك ندرك القلق السائد في العالم من فايروس كورونا في ظل الغموض الذي لا يزال سائدا بشأنه.

حاولت الدراسة إبراز أهم تجليات الحداثة السائلة وتداعياتها على الأنا الفردي والجمعي، متوسلة بالمنهج النقدي التفاعلي، لتخلص إلى أن الإنسانية اليوم في حاجة ملحة لمعايير صلبة تزلزل أسس الحداثة السائلة ولن يتم ذلك إلا بتكوين روحي يمتح أساساته من الثوابت الدينية والعقيدة الصحيحة، والذي من شأنه بناء صلابة روحية تمنح الإنسان كفاءة وقدرة لتجاوز أزمات الحداثة السائلة وتعزز فيه قيم التضامن والتكافل ونشر الطمأنينة.

الكلمات المفتاحية: الروح، التكوين الروحي، الحداثة السائلة، جائحة كورونا، القيم الروحية، مقاربة نقدية.

مقدمة:

مر الفكر الغربي بمراحل سعى من خلالها إلى التمرد على الفكر الكهنوني والكنسي، فمنذ عصر الأنوار عمل على الإعلاء من شأن الإنسان بجعله مركز الكون، والمتحكم والمهيمن على العالم؛ فعقل الإنسان بحسب الفكر الحداثي له من القدرات والطاقات ما يكفيه لتفسير ذاته وبيئته المحيطة به دونما حاجة إلى التفسيير الغيبي أو الوحياني، ولقد نجحت هذه الفلسفة العقلانية المادية إلى حد كبير في إقصاء البعد الروحي للإنسان، وأفرزت ما سماه الفيلسوف وعالم الاجتماع زيغموند باومان بالحداثة الصلبة، غير أنها وبعد تراجع الاهتمام بالجوهر الإنساني مع طغيان الرأسمالية المتوحشة وثقافة السوق والإستهلاك، وكذلك نهاية اليقينيات القطعية مع انتشار الفكر العدمي؛ ثم تفكيك الإنسان وإنزاله من عرش المركزية واختزاله إلى شيء أحادي البعد (جسد، جنس، لذة) فتم تشييئه وتسليعه وحوسلته بتعبير عبد الوهاب المسيري، لتتحول الحداثة إلى حداثة سائلة، حيث العيش في زمن اللايقين وزمن الروابط الإنسانية الهشة وزمن الخوف، وصار كل شيء في حالة تغير دائم، والحقيقة المطلقة الوحيدة هي السيولة الكلية.

لقد تسربت السيولة إلى كل نواحي الحياة، وانقلب هرم القيم حتى صار اللامعنى واللاغاية واللايقين هو اليقين الوحيد، كل هذا يجعل الحياة مملوءة بالمخاوف الناتجة عن عدم اليقين بعد إزاحة المسلمات والمقدسات واليقين الديني؛ لذلك ندرك اليوم الخوف والقلق اللذان ينتابان العالم من فايروس كورونا في ظل الغموض الذي لا يزال سائدا بشأنه مما زاد درجة الخوف عند الأفراد من كل التداعيات المحتملة والغير المحتملة التي سترافقه.

إن زمن كرونا الذي نعيشه اليوم هو زمن سيولة بما هو زمن افتقاد الوجهة الواضحة وزمن الترويع والتخويف وزمن استهلاك الأمكنة وبروز اللامكان الإفتراضي والعلاقات الإنسانية السائلة عبر شبكات التواصل الإجتماعي، غير أنه سيكون لا محالة نقطة تحول في النماذج المعرفية السائدة وسيفسح المجال فيه أكثر للروحانيات للعودة واسترجاع مكانتها المغيبة قصرا وعمدا، ولا أدل على ذلك من عودة سؤال المعنى ليؤرق الإنسانية بعدما تم تغييبه أمدا طويلا، فكان تحديا كبيرا من أدق كائن مخبري للإنسان ذي البعد الواحد الغارق في الأنانية الفردانية والتملك واللذة والتحرر.

وعليه فأهمية هذه الدراسة تتجلى في راهنية الموضوع في خضم ما يعيشه العالم من تداعيات جائحة كورونا التي أرى أنها من أهم محطات الحداثة السائلة إن لم أقل آخرها بحول الله، فكل مظاهر الحداثة السائلة تجلت وبحدة في زمن هذه الجائحة؛ حيث تسربت السيولة إلى كل نواحي الحياة، وانقلب هرم القيم حتى صار اللامعنى واللاغاية واللايقين هو اليقين الوحيد، كل هذا يجعل الحياة مملوءة بالمخاوف الناتجة عن عدم اليقين بعد إزاحة الروحانيات والمقدسات واليقين الديني؛ لذلك ندرك القلق السائد في العالم من فايروس كورونا في ظل الغموض الذي لا يزال سائدا بشأنه.

حاولت الدراسة إبراز أهم تجليات الحداثة السائلة وتداعياتها على الأنا الفردي والجمعي، متوسلة بالمنهج النقدي التفاعلي، لتخلص إلى أن الإنسانية اليوم في حاجة ملحة لمعايير صلبة تخلخل وتزعزع أسس الحداثة السائلة، وتبين عوارها ولن يتم ذلك إلا بتكوين روحي ركيزته الأساسية الثوابت الدينية والعقيدة الصحيحة، والتي من شأنها تعزيز قيم التضامن والتكافل ونشر الطمأنينة؛ وعليه فإن هذه الدراسة تغيأت تقديم أثر التكوين الروحي والتربية الروحية لبناء صلابة روحية تمنح الإنسان كفاءة وقدرة لتجاوز أزمات الحداثة السائلة؛ بالعودة إلى الذات بكل أبعادها، والتحصن بالإيمان فهو المصل الذي يحصن مناعة الإنسان البدنية والعقلية والعقدية والحضارية.

من خلال ما سبق صُغت إشكالية الدراسة فيما يلي: كيف تسهم التربية الروحية والتكوين الروحي في بناء صلابة روحية تمنح الإنسان كفاءة وقدرة لتجاوز أزمات الحداثة السائلة بما فيها أزمة جائحة كورونا؟

أما بخصوص الدراسات السابقة فلم أجد دراسة مستقلة عن أثر التكوين الروحي في تجاوز تمظهرات الحداثة السائلة خصوصا في زمن جائحة كورونا، وإنما دراسات عامة عن الحداثة السائلة، وماكان عند الفيلسوف زيغموند باومان في موسوعته الخاصة والتي تشمل: الحياة السائلة والحداثة السائلة والحب السائل والخوف السائل...

تتضمن هذه الدراسة مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ بسطتها كما يلي:

المقدمة وتتضمن أهمية البحث، وإشكاليته ومنهجية البحث والدراسات السابقة،

المبحث الأول: تحديد مصطلحات عنوان الدراسة.

- ✓ المطلب الأول: مفهوم التكوين الروحي.
- ✓ المطلب الثاني: مفهوم الحداثة السائلة.

المبحث الثاني: التكوين الروحي مدخلا لمقاربة تجليات الحداثة السائلة زمن جائحة كورونا.

- ✓ المطلب الأول: التكوين الروحي وأثره في الحد من آثار الخوف السائل في زمن المابعديات.
- ✓ المطلب الثاني: التكوين الروحي وخلخلته للعمل السائل اللامستقر زمن الحداثة السائلة.
- ✓ المطلب الثالث: التكوين الروحي وأثره في صلابة العلاقات الإنسانية السائلة.
- ✓ المطلب الرابع: التكوين الروحي زمن التملك السائل والتغيير الدائم المستمر.

خاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : تحديد مصطلحات عنوان الدراسة

المطلب الأول: مفهوم التكوين الروحي

التكوين لغة من فعل كوَّن جاء في لسان العرب: "كون الشيء: أحدثه، والله مكون الأشياء يُخرجها من العدم إلى الوجود"[1: باب الكاف]

و"الروح : النفس، يذكر ويؤنث، وفي التنزيل :"يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي" وتأويل الروح أنه ما به حياة النفس.. وهو الذي يعيش به الإنسان، لم يُخبر الله تعالى به أحدا من خلقه، ولم يُعطِ علمه العباد"[1: باب الراء] ، وقد استشهد ابن منظور بالآية الكريمة "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" [سورة الإسراء:85] التي نزلت ردا على سؤال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم عن الروح.

أما اصطلاحا فالروح من المصطلحات القرآنية المركزية؛ وجاءت بمعان متعددة:

- ✓ بمعنى الوحي، في قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا" [سورة الشورى:52] وقوله تعالى :"رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ" [سورة غافر:15] وسمي الوحي روحا، لأن به حياة روح وقلب وعقل الإنسان ، فهو الهدى والشفاء والحياة.
- ✓ بمعنى القوة والثبات والنصرة قال تعالى:"أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ " [سورة المجادلة:22]
- ✓ بمعنى جبريل وهذا المعنى جاء في قوله تعالى :" وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" [سورة الشعراء: 193-194]
- ✓ بمعنى المسيح بن مريم، في قوله تعالى: "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ" [سورة النساء: 171]
- ✓ الروح التي سأل اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عنها، فأنزل الله "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" [سورة الإسراء:85]

من خلال هذه التعريفات يمكننا القول إن الروح من المفاهيم التي لها علاقة بعالم الغيب وعليه فقد بقي سرا غيبيا يصعب تحديده بدقة أو وصف تفاصيله؛ غير أنه أيضا مفهوم شهودي يستشعر الإنسان وجوده حتى وإن انكره، ومن ثمة فقد تعددت تعريفاته، وحصل خلط بينه وبين مفاهيم أخرى مثل النفس والقلب والعقل، يقول الإمام الغزالي: "أعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ويقل

من فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة" [2: ج3 ص4]، وقد عرف الغزالي الروح في معنيين أحدهما: بأنها قوة منبعها القلب تصل إلى سائر أجزاء البدن الذي يفيض أعضاؤه بأنوار الحياة ومثَّل لذلك بفيضان النور من السراج الذي يُدار في زوايا البيت فيستنير كل جزء منه بنوره [2: ج3 ص5]، أما المعنى الثاني الذي ارتضاه الغزالي للروح فهو:"اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، وهو الذي أراده الله تعالى بقوله "قل الروح من أمر ربي" وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن إدراك حقيقته". [2: ج3 ص5]

أما ابن القيم، فقد قال":إن الروح جسم مخالف بالأهمية للجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف و متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح". [3: ص 235- 236]

من خلال تلكم التعريفات نخلص إلى أن الروح ميزة الإنسان عن غيره من الخليقة؛ ميزة الماهية والكينونة التي تخصه، فقد خلق الله آدم من قبضة من طين فكان بشرا ونفخة من روح فصار إنسانا، وقد نبه سبحانه إلى هذه الماهية الإنسانية الروحانية في قوله تعالى "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" [سورة ص: 70- 71]

أما مصطلح التكوين الروحي فهو مركب وصفي للعملية التربوية الإنسانية التي تهدف إلى تهذيب ورياضة الروح وتزويد الفرد بالقيم الإيمانية التعبدية، والقيم الدينية والاجتماعية، ليحقق مقصد العبودية لله والوصول إلى رضاء خالقه، بناء على ما جبلت عليه فطرته السوية من جهة وبناء على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية من جهة أخرى؛ والتكوين الروحي لا يتم من دون تربية روحية وعليه يمكننا وصفه بكونه علم السلوك الروحي.

والتربية يقول طه عبد الرحمن "ليست سوى التزكية.. وليس دور التنظير للتربية الإسلامية هو إصلاح هذا السلوك الجزئي أو ذاك في الإنسان أو تقويم هذا الخلق أو ذاك فيه، وإنما قصده هو إعادة التشكيل الكلي للإنسان، وكأنه يولد ولادة قلبية من جديد كما ولد ولادته البيولوجية "[4: ص 15]، والتشكيل الكلي للإنسان عن طريق البناء الروحي يبدأ بتقوية صلة العبد بربه وخالقه، فعن طريق هذه الصلة يزداد رصيد التقوى لديه، فيزداد خشوعا وخضوعا وحشية وتعبدا.

التزكية من المفاهيم القرآنية المركزية إذ يتخذ موقعا مهما ضمن منظومة القيم القرآنية العليا، كما أنه مقصد من مقاصد الوحي الحاكمة ومن كلياته الشرعية، وقد أقسم سبحانه وتعالى بمخلوقاته في ثمان آيات متتالية (مما يدل على عظمة المقسم عليه) وهو أطول قسم في القرآن الكريم فقال عز وجل: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا. وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)[الشمس:1-8]، ثم كان الجواب عن هذه الأقسام كلها متعلقا بتزكية

النفس، فقال سبحانه في الآية التي تليها: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)[الشمس:9] ومن المؤكد أنه سبحانه يقسم بنفسه على شيء عظيم يتضمنه جواب القسم وهذا يدل على مركزية التزكية وأهميتها.

والتزكية منهاج تربوي نبوي يقول تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 151]، فدعوة النبي عليه الصلاة والسلام عنوانها الأساسي هو التزكية، كما يظهر في قوله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: 164]

المطلب الثاني: مفهوم الحداثة السائلة:

الحداثة السائلة هي مرحلة المابعديات؛ ما بعد الحداثة وما بعد التاريخ وما بعد الإنسان، إنها مرحلة القطبية الواحدية أو العولمة وهي المرحلة التي اتسم العالم خلالها "بالسيولة، واختفاء المركز، فلم يعد من الممكن للفرد أن يتجاوز حدود المادية الضيقة، ولا أن يرجئ الإشباع وأصبح يبحث عن معنى لحياته من خلال الإستهلاك والتوجه الحاد نحو اللذة"[5: ص102]، فهي مرحلة لا توابت أو مراكز فيها حيث تمت إذابة كل ما هو صلب؛ وعليه فقد تاه فيها الإنسان عن وجهته، وفقد المعنى والغاية والإيمان، حتى انتهت إلى تسليعه واخضاعه للآلة وإغراقه في عالم وهمي افتراضي، إنها وباختصار مرحلة موت الإنسان بعدما تم الإعلان عن موت الإله والدخول في مسار النسيان بعدما انهارت مصفوفة القيم المعنوية التي تعطي لرؤيته للعالم معنى حينما قام النمط المعرفي الحديث على أصلين صاغهما طه عبد الرحمن ب "الأخلاق في العلم" و "لاغيب في العقل". [6: ص92]

ويعتبر **زيجمونت باومان**[7] أحد أبرز نقاد الحداثة السائلة من داخل الفكر الغربي المعاصر؛ إذ ألف موسوعته المسماة السوائل؛ وتضم كتب: الحداثة السائلة والحياة السائلة، والخوف السائل، والحب السائل والرقابة السائلة والأزمنة السائلة [8: ص18]، يقول "الحداثة السائلة أكثر من مجرد نقيض للحداثة الصلبة، وفي واقع الأمر أنها تعكس هرم القيم الذي اتخذته الحداثة الصلبة"[8: ص23]، حيث إن القيم الكبرى التي بدأت بها الحداثة الصلبة كالحرية والعدالة والكرامة؛ حلت محلها قيم الفردانية والأنانية والإشباع الفوري والسعادة الفردية.

والعالم الإسلامي اليوم ليس بمنأى عن تأثيرات الحداثة السائلة، التي فرضت فلسفتها تارة بالقوة والغزو العسكري، وتارة بالغزو الفكري حيث نشر هذا النموذج تحت مسميات ودعاوى تحقيق الرفاهية والفردوس الأرضي لمعتنقيها؛ والتبشير بحداثة على طراز الحداثة الغربية، من طرف دعاة الاستنارة من العلمانيين التنويريين.

المبحث الثاني: التكوين الروحي مدخلا لمقاربة تجليات الحداثة السائلة زمن جائحة كورونا

التكوين الروحي بما هو تربية وتزكية وتطهير النفس بالصلاح الذاتي والإصلاح المجتمعي بالتنشئة الروحية، فقد أولاها الإسلام اهتماما بالغا بل كانت هذه التربية من أعظم مقاصد القرآن الكريم ومنهجا عمليا نبويا قال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) [سورة البقرة: 151]، وقد أحدثت التربية الروحية الشريفة التي رباها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه تغيرا كاملا في النفوس، وأيقظت الأرواح بالعلم السديد والعمل القويم، فكانت خير معين لهم في تخطي كل الأزمات والمعيقات التي عرفتها الدعوة الإسلامية في بداية انتشارها؛ والتاريخ يؤكد اللحظات الصعبة التي شهدها العالم الإسلامي بدءا من القرن الثالث عشر بعد انهيار الخلافة العباسية والسقوط المدوي لبغداد تحت جحافل التثار وما شهده العالم الإسلامي المعاصر من استعمار واحتلال الدول الامبريالية له، خلال كل هذه المحطات الصعبة والمتأزمة لم يكن للمسلمين من سند ومنقذ سوى مرتكزهم وتكوينهم الروحي المستمد من الفطرة والوحي الرباني، وهو اليوم يعيش كغيره من بلدان العالم حائحة كورونا زمن الحداثة السائلة، وقد كشفت هذه الأزمة الحالية عن أمر مهم جدا وهو دور القيم الروحية وتعزيزها في إحكام مواجهة الآثار النفسية والإجتماعية وحتى الإقتصادية، وذلك بتكريس قيم الأخوة والجماعة والتضامن والرحمة والتراحم والتعاون والتعالي عن الفردانية وحب الذات، كل هذه القيم يجب تعزيزها في التنشئة الأسرية والمدرسية بالقدوة والمثال، فالبشرية اليوم "تحتاج إلى الإيمان الذي يمنحها الطمأنينة واليقين، والمعنى والغاية من الخلق والحياة؛ وإلى قيمه التي تمنحها التعاون والتضامن، والتكافل والتآزر، وحب الذات والآخرين، وتطرد عنها الجشع والطمع، والإسراف والتبذير. وإذا حمل العقل والعلم والتجربة، قيما إضافية لها نفس غايات إسعاد الإنسان، وجلب النفع له ودفع الضرر عنه، فذلك التكامل المطلوب؛ فلقد تحدث الفلاسفة قديما وحديثا عن قيم الخير والجمال والحق والعدالة والسعادة والفضائل...، وهي عينها المقررة في الأديان وبأبعاد ومعاني إضافية تعلي من تلك القيم ومن فعاليتها، والعلم الذي تؤطره القيم هو أنفع للناس من العلم الذي يتاجر بمصائر الناس وبوجودهم."[9]

المطلب الأول: التكوين الروحي وأثره في الحد من آثار الخوف السائل في زمن المابعديات

من مظاهر الحداثة السائلة نشر الخوف وترويع الآمنين وتغييب الإطمئنان النفسي بله الروحي بعدما فشلت الحداثة في تحقيق وعودها بالفردوس الأرضي والأمل بتحقيق السعادة الدائمة للجميع ونشر الراحة والسكينة، حيث استغلت تيارات النزوع المادي الجشع غريزة الخوف لدى الإنسان لجعلها مصدرا للربح المادي؛ يقول زيجموند باومان:"ما أكثر الأموال التي يمكن أن يدرها الشعور بالخوف وعدم الأمان"[10: ص100] فهذه شركات الدعاية والإعلان في الدول العظمى تستغل عن عمد الهواجس والمخاوف المنتشرة من شبح الإرهاب من أجل زيادة مبيعاتيها من الأسلحة والتسلح، فالخوف صار وقودا للاستهلاك، كما اللذة والمتعة الآنية؛ والآن نرى التسابق المحموم لاكتشاف لقاح ضد فايروس كوفيد 19، الذي قد تكون بواعثه نوعا من الحروب البيولوجية التي تخوضها الدول الكبرى في

الصراع من أجل السيطرة على العالم والهيمنة على الأسواق العالمية، للإمعان في تسليع الإنسان والحد من كل مظاهر حريته، وبهذا نجحت تيارات النزوع المادي الجشع في تسويق رأس مال الخوف والإستخدامات السياسية له. فهل هذا اللقاح سيخفف من حدة الخوف الذي تشعر به البشرية أم أنه سيكون حلقة من سلسلة من اللقاحات التي ستفاقم الوضع نحو الأسوء؟ سؤال مشروع طرحه في ظل الحياة السائلة التي وصفها باومان بأنها "حياة محفوفة بالمخاطر يحياها المرء في حالة من اللايقين الدائم، وأشد هاجس يساور المرء في تلك الحياة هو الخوف من أن تأخذه على حين غرة، ومن الفشل في اللحاق بالمستجدات المتسارعة، ومن التخلف عن ركب السائرين (...) فالحياة السائلة سلسلة من البدايات الجديدة". [10: ص22]

لقد صدق إدغار موران عندما قال "إن التقدم التكنولوجي العلمي، راح يولد أيضا تقدما في الشك والإرتياب واللايقين" [11: ص180]، إن التهويل الشديد في مثل هذه الأزمات يسبب اللاأمان الذي يولد الخوف من المجهول، والقلق الهستيري إنه أشبه ما يكون بالوسواس القهري، لأن توهم فكرة المرض أقسى وأصعب من عيش تجربة المرض في حد ذاتها.

والفكر التربوي الإسلامي من خلال مبادئ التربية الروحية القرآنية عالج مشكلة الأمن الفردي والاجتماعي، بمحاربة ترويع الآمنين وتخويفهم أو نشر الخوف والقلق بينهم، وتوفير الأمن النفسي والطمأنينة للإنسان بطرق مباشرة وغير مباشرة حتى في أصعب الظروف والمواقف؛ وتعزيزه ثقته بالله تعالى؛ فنجد آيات كثيرة تربط بين الأمن النفسي والإيمان بالله والدعوة إليه وبالعمل الصالح، يقول تعالى (مَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا) [الجن:13] (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:28] (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [الأنعام:48] (قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)[طه:46](الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[الأنعام:82] إلى غير ذلك من الآيات الآمرة بالإيمان بالله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وكل ذلك لأجل تغذية الروح بغذاء الإيمان لأنه السبيل للتمنيع الروحي في مواجهة القلق وتخفيف وطأة الخوف والأمل بحياة أخرى خالدة.

إن المؤمن راسخ اليقين بالله يعيش مطمئن النفس قرير العين رغم تقلبات الزمن ومخاوفه، لأنه يقف على قاعدة صلبة وحقيقة أبدية أزلية إنها حقيقة **التوحيد**؛ ذلك أنه يشكل تلك الصخرة التي تنكسر عليها كل الإبتلاءات والمخاوف والأحزان، فهو مصدر اليقين الراسخ والصبر والسكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين، والاعتقاد الجازم بأن الله لا يدبر لعباده إلا ما كان فيه خير لهم وحتى الإبتلاء بالخير والشر فتنة وامتحانا لهم للترقي في مدارج السالكين، يقول تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [سورة الأنبياء:35] وعليه فإن من كان أكثر صلابة أمام جائحة كورونا في أنحاء العالم هم المؤمنون بالله وبقدره، فلم يقعوا ضحايا سياسة التهويل والتخويف؛ بقوة إيمانهم ولتكوينهم الروحي الصلب، وبسلاح التقرب إلى الله والدعاء إليه مع الأخذ بكل أسباب الوقاية، امتثالا لقول الله تعالى: (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[سورة التوبة:51]

المطلب الثاني: التكوين الروحي وخلخلته للعمل السائل اللامستقر زمن الحداثة السائلة

لقد خطا الغرب منذ نهضته إلى حداثته خطوات جبارة بفضل ما حققه من ثورات صناعية وعلمية وتقنية، عادت بالنفع العميم على البشرية، لكن كما للتقدم التكنولوجي حسنات تحسب له فله من المساوئ ما ينذر بندرة الوظائف، والإستغناء عن العمالة، أو استعباد هذه العمالة واسترقاقها بإغراقها في التزامات مالية لا قبل لها ولا آخر؛ فهذا مثلا "هنري فورد الذي ضاعف في يوم من الأيام أجور عماله، علل ذلك بأنه كان يرغب في أن يتمكن عماله من شراء سياراته، وبالطبع كان هذا التعليل مجرد مزاح، (...) أما السبب الحقيقي وراء هذه الخطوة غير التقليدية فهو رغبته بأن يوقف المعدلات المرتفعة المزعجة لتنقل العمالة، أراد فورد أن يقيد موظفيه بمشروعاته مرة وللأبد حتى يستنزف طاقة عملهم تماما"[8: ص111]، ومن جهة أخرى صارت العمالة من الهشاشة بمكان، في ظل عدم الاستقرار الذي يسم الوضع الحالي بعد إنتشار جائحة كورونا؛ فقد بات جليا تأثير هذه الجائحة وانعكاساتها على قيمة العمل حيث فقد مركزيته وصلاتبه وتغيرت مهامه ومساحاته وما رافقه من تحجير للمعيشة وللحياة اليومية للناس، ومن الأسباب الأخرى لسيولة العمل "التغيرات الغريبة لطلب السوق والضغوط المتقلبة القاهرة المنيعة الناجمة عن "التنافسية"، و"الإنتاجية" و"الفاعلية"، و"المرونة" هي شعار الزمن الذي نعيش فيه، إنها تنذر بوظائف من دون أمان ولا التزامات ثابتة ولا استحقاقات مستقبلية، وظائف بعقود محددة المدة أو بعقود مستمرة لحين إنهائها بإشعار، وطرد من العمل من دون إشعار، ومن دون حق في التعويض"[8: ص232]، وبذلك يمكننا القول إن الاستبداد بكل أشكاله والطغيان بكل تجلياته أصبحا سمة الحداثة السائلة، طغيان يفتك به القوي حق الضعيف ويستنزف دمه ويعتدي على مقدراته، أما شعارات حقوق الإنسان التي ملأ الجو بها صراخا وإعلانا وعقدت تحت مظلتها مؤتمرات وندوات عالمية ومحلية، فلا سبيل إلى تحقيقها سوى بتعزيز التربية الروحية صلاحا للنفس وإصلاحا للغير؛ بنقاء الضمير وتطهير النفوس من الهوى والجشع والظلم وتعزيز الروح الإنسانية المتضامنة، وعندئذ يطمئن الناس على حقوقهم ويستتب الأمن والعدل فيما بينهم.

والتكوين الروحي الذي يؤسس بنيانه على ما جاء به الإسلام من تشريعات تحث على الوفاء بالعقود، وأداء الأمانات، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة:1]، وقال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا [النساء:58] وقال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:27]، وقال تبارك وتعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ [المؤمنون: 8]، كما تأمر بضمان حقوق العمال والأجراء بغض النظر عن جنسياتهم ودينهم، كل ذلك يجعل المسلم يأخذ بعين الإعتبار القوانين التي تنظم العلاقة بين صاحب العمل والعامل على أساس الرحمة والشفقة وأداء الحقوق والواجبات على أكمل وجه ممكن من كلا الطرفين، فعلى الأجير واجب إتقان العمل واستحضار مراقبة الله تعالى مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) رواه الطبراني وصححه الألباني، وعلى صاحب العمل واجب حفظ الحق المادي والمعنوي للعامل والمسارعة في إعطائه حقه لقوله صلى الله عليه وسلم: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) رواه ابن ماجة، ويقوي هذا الحديث قول

النبي صلى الله عليه وسلم:" «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ».رواه البخاري .وبوب عليه :بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ أَجْرَ الأَجِيرِ.

يفهم من هذين الحديثين الشريفين ضرورة البدار بإعطاء حق الأجير وعدم المماطلة في ذلك صونا لكرامته وحفاظا على أسرته من ذل السؤال والحاجة والضياع والتشرد، وضمانا لها في العيش الكريم المطمئن، وهذا كله عكس ما تسعى إليه الحداثة السائلة باستحداث وظائف سائلة غير مستقرة، تتأثر بسياسة السوق المتغول ولعمليتي العرض والطلب بحسب ما تمليه الشركات العملاقة المتحكمة في الاقتصاد العالمي.

المطلب الثالث: التكوين الروحي وأثره في صلابة العلاقات الإنسانية السائلة:

زمن الحداثة السائلة هو زمن الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحفوف بالمخاطر التي تنعكس سلبا على الروابط الإنسانية لتتحول من الصلابة إلى الهشاشة، حيث التحلل من قيود العلاقات وفك الإرتباط؛ فقطعت الروابط الإجتماعية وأعلن الحرب على العادات والأعراف بل تحولت هذه الروابط إلى سلعة يمكن التخلص منها واستبدالها كقطع الغيار، حالما استحال إصلاحها أو إنقاذها من التفكك والفشل، ومن ثمة اضمحلت العلاقات الإنسانية وأقتت بالإشباع الفوري والبراغماتية، فصارت "عرضة للفسخ من جانب واحد، عندما يكتشف أحد طرفي العقد فرصة وقيمة في الخروج من العلاقة تفوق محاولة انقاذها بأي ثمن وبغير حساب؛ وهكذا صارت الروابط والعلاقات أشياء نستهلكها لا ننتجها، إنها تخضع لمعيار التقييم نفسه الذي تخضع إليه موضوعات الإستهلاك الأخرى كافة"[8: ص234]، لذلك فإن فلسفة السيولة فلسفة تكفيكية للاجتماع الإنساني، غايتها تكوين إنسان واحدي؛ ذو بعد واحد بتعبير هربرت ماركيوز، وقد كرس هذا الوضع سرعة انتشار الفايروس كوفيد19 فصرنا في زمن استهلاك الأمكنة وبروز اللامكان الإفتراضي والعلاقات الإنسانية السائلة عبر شبكات التواصل الإجتماعي.

بيد أن هذه الصورة المفككة للروابط الإنسانية تبدو أكثر جلاء في العالم الأصغر "مؤسسة الأسرة" عندما تم تفكيكها وتحويلها من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة، وصلابتها تتجلى في صلابة الميثاق الغليظ للزواج حيث شرعه الله تعالى لتحقيق الشهوة في إطارها الشرعي، وما يستتبعه من التزام ومسؤولية وكفاءة، أما مرحلة السيولة فتحقيق الشهوة يكون بأقل كلفة وبمنظور استهلاكي صرف يحقق المتعة الفورية من غير التزام وهذا ما عبر عنه زيجموند باومان ب "الحب السائل" حيث "الإنتقال من عصر الزواج إلى عصر المعاشرة بكل ما يصاحب ذلك من مواقف وتبعات استراتيجية، بما في ذلك افتراض الطبيعة المؤقتة للمعاشرة، وإمكانية انتهاء العلاقة في أية لحظة ولأي سبب ما إن انقضت الحاجة أو انطفأت الرغبة". [8: ص215]

وهكذا تغدو الصلات الاجتماعية صلات عابرة وسائلة ومرنة يمكن الاستغناء عنها بعد الإشباع كأي منتج تم استهلاكه، إنه "عالم النفايات كما يسميه باومان حيث كل الصلات يمكن الاستغناء عنها – مثل منتج تم استهلاكه – فالعين تمتد دوما إلى ما وراء اللحظة، وتتطلع إلى ما يتم تزيينه أنه الأفضل، غير راضية بما هو متاح". [11: ص18]

في ظل هذه العلاقات الهشة والصلات المفككة صار سؤال المعنى يطرح في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، والبحث عن نظرية أخلاقية تحترم طبيعة الإنسان ككائن اجتماعي أساسها القيم الدينية التي تحترم كرامة الإنسان بما هو إنسان الاستخلاف وعمارة الأرض، وتعزز الخير الإنساني والتعاون العملي لاسترجاع الصلابة في العلاقات الإنسانية، ولا نرى ذلك ممكنا من دون عودة الروحانيات ذات المصدر الإلهي والمتعالي؛ التي تقيم العدل والميزان في كل العلاقات الإنسانية ـ بما فيها العلاقة الزوجية ـ وترجعها لصلابتها المفقودة في هذه الحضارة الشوهاء، ومنه فإن الفعل التربوي والعمل التزكوي من منطلق روحي هو الذي يرقى بالإنسان كما يرقى بعلاقاته الاجتماعية والأسرية، بالغائيات الأخلاقية الإنسانية وبقيم عليا صلبة كالتساكن والتراحم والتواد والتعارف والتعايش، كل تلك القيم وغيرها تساهم بلا شك في ترابط وتماسك المجتمع حيث يسود التعاون والإيثار بين أفراده، والتعامل فيما بينهم بالعدل والرحمة، عكس ما رسخته وترسخه الحداثة السائلة حيث الدعوة إلى الأنانية والفردانية المطلقة، مما يتسبب في التفكك وضعف الروابط بين أفراد المجتمع، وهذا ما اصطلحنا عليه بالمجتمع السائل حيث الروابط الاجتماعية الهشة التي تتعرض أيضا لاقتصاد السوق المتغول، فلا علاقة ولا تساكن من دون منفعة مادية بحتة.

إن التكوين الروحي للمسلم يجعله دائم التقويم لأفعاله مقسطا في سلوكه ومعاملاته سواء مع النفس والآخرين لأنه يؤمن إيمانا راسخا بأن "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم" [13]، والأخلاق الفاضلة إنما هي ثمرة من ثمار الإيمان والعقيدة الصحيحة، التي تثمر عملا صالحا يسهم في إقامة مجتمع صالح، إذ القيم الخلقية هي القاعدة الصلبة التي تستند عليها الحضارات، والحضارة الإسلامية شهدت أعظم حدث تجلت فيه القيم المؤسسة على تكوين روحي صلب للصحابة رضي الله عنهم الذي دام سنوات طويلة خلال المرحلة المكية من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حدث المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين بعد الهجرة النبوية، حيث تجلت فيه صلابة الرابطة المدنية والدينية، التي بنيت على آصرة العقيدة والإيمان الذي يزاوج بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية وبذلك يستقر المجتمع ويتماسك ويرتفع ويرقى.

المطلب الرابع: التكوين الروحي زمن التملك السائل والتغيير الدائم المستمر:

فشلت الحداثة الغربية في تحقيق وعودها الزائفة بتوفير التقدم الغير المحدود والوفرة المادية والسعادة القصوى للإنسان ويعتبر إيريك فروم [14: ص5-6] من رواد مدرسة فرانكفورت الذي وجه انتقادا حادا للحداثة إذ يقول: "الحق أن العصر الصناعي أخفق في الوفاء بوعده العظيم، فالكل صار مدركا بأنه أصبح مجرد ترس في الآلة البيروقراطية، كما أن مشاعره وأفكاره وأذواقه صارت تتشكل من أجهزة إعلامية حكومية صناعية، وأن التقدم الصناعي ظل مقتصرا على الأمم الغنية (...) وأن التقدم التكنولوجي نفسه قد ولّد مخاطرا إيكولوجية"[15: ص20] ويرجع فروم إخفاق الوعد العظيم للعصر الصناعي الرأسمالي إلى تضخيم نزعة التملك عند الإنسان الغربي بربط سعادته بالمنفعة واللذة مما يزيد من أنانيته المتوحشة وجشعه مما يترتب عليه السعي الحثيث لتحقيق المصلحة الشخصية بكل الوسائل والطرق ولو بالقوة والسرقة وحتى القتل، فيصير شعار وجوده بل حتى إنسانيته "أنا موجود بقدر ما أملك وأستهلك"، [15: ص24] إن هذه النظرة المشوهة للسعادة في أسلوب التملك تجعل الإنسان يبحث عن وسائل تحقق له "تفوقه على الآخرين بالقوة والغزو والسرقة والقتل، أما في أسلوب الكينونة فإن السعادة هي المحبة والمشاركة والعطاء". [15: ص84]

انتقد فروم أيضا اغتراب الإنسان وتشييئه وانتبه إلى أنه مستلب في المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي، وهو "استلاب ثم على مستويات عدة، وعلى رأسها استلاب وعي الإنسان، والزج به في عوالم استهلاكية خيالية، لا يكون مطالبا فيها باستعمال ذكائه وخياله وعبقريته وعقله، بقدر ما يكون مرغما على الاستهلاك الأعمى، وما ينتقده فروم في الاستهلاك غير الواعي هو أنه يقود حثما إلى السقوط في فخ مبدأ الامتلاك، الذي قلص الحياة الإنسانية في الأشياء والمواد التي تقدم له، ليصبح الإنسان نفسه بضاعة تباع وتشترى، تماما كباقي البضائع الأخرى"، [14: ص12- 13] وعلى منوال فروم سار سيغموند باومان في نقده لثقافة الاستهلاك المفرط زمن الحداثة السائلة، ووصف "النزعة الاستهلاكية تعني اقتصاديات الخداع والإسراف والنفايات (...) لا يمكن المجتمع الاستهلاكي إلا أن يكون مجتمع الإسراف والتبذير، ومن ثم فهو مجتمع الفضلات والنفايات"[10: ص115- 117] ، والبحث المستمر عن إشباع رغبة التغيير والتجديد لإمتلاك الأفضل والأجمل والألذ والأغلى و...ولو على حساب قيم هذا الإنسان ومبادئه؛ وعليه فقد شهدت حقبة الحداثة السائلة انشغالا وصل حد الهوس والوسواس القهري بالتجديد الدائم، والتغيير المستمر والحركة الدائبة، والتحديث للأشياء والإنسان "فالتغيير هو ما يحيي الأمل في الإشباع"[10: ص174] حتى اختزلت السعادة في تغيير شكل ومظهر الجسم أو حتى لون الشعر، للشعور بالعظمة، وتلبية نزعة التملك الكامنة في النفس البشرية "ففي السنوات العشر الأخيرة وصل عدد جراحات التجميل إلى أكثر من الضعف، ليبلغ 62 مليون عملية جراحية في سنة 2002 وحدها (...) وأن عدد جراحات التجميل في بريطانيا يزداد بنسبة 10 إلى 20 في المائة كل عام"،[10: ص173] ومن ثمة فقد جردت الحداثة الإنسان من ثقته في نفسه والرضى بمقدراته، وحولته إلى مستهلك لكل صنوف المنتجات حتى وإن كانت على حساب صحته وجسمه، إنه "العالم الذي يعبد الجدة كما تعبد الأصنام". [16: ص170]

في ظل الهوس الشديد للتغيير والتجديد والبحث عن بدايات جديدة وسياسة التخلص بعد الاستعمال صار الجسد سلعة يجب تجديدها وتغييرها باستمار في ظل الفقر الروحي الذي يعاني منه الإنسان تحت تحكم الصورة "المثالية" والخالية من كل العيوب، وتحكم نزعة التملك عوض نزعة الكينونة بتعبير إيريك فروم، لقد نجح الفكر السائل في تضخيم نزعة التملك عند الإنسان الغربي بربط سعادته بالمنفعة واللذة مما يزيد من أنانيته المتوحشة وجشعه مما يترتب عليه السعي الحثيث لتحقيق المصلحة الشخصية بكل الوسائل والطرق ولو بالقوة والسرقة وحتى القتل، فيصير شعار وجوده بل حتى إنسانيته "أنا موجود بقدر ما أملك وأستهلك".[15: ص27]

إن حب التملك غريزة إنسانية فقد خلق الله الإنسان وجعل له نفسا تحب دوما تحصيل الشهوات التي من دونها لن تستمر الحياة وعليه من المستحيل التخلص منها بالكلية، لكن يمكن توجيهها توجيها مستقيما للإستفادة منها مع تجنب ضررها، وذلك بالتكوين الروحي، والتربية التزكوية التي تخلص القلب من أسر الهوى والشهوات وحب التملك والتكاثر، وبذلك يستعيد الإنسان إنسانيته من منطلق الإيمان الصحيح والراسخ، وعليه يمكن القول إن التربية الروحية التزكوية تسهم في بناء "الإنسان الكوثر" بتعبير طه عبد الرحمن، الكثير الخير والعطاء والذي تبدو عليه آثار الإيمان في سلوكه وتتجلى في أعماله، وينزل الإيمان "منزلة الأصل الذي تتفرع عليه كل الأدوار (...) والحال أن هذا التأثير الشامل للايمان لا يتأتى إلا إذا بلغ الإيمان في النفس من القوة والصفاء والسمو درجة يتحول معها إلى طاقة فعالة تتدفق في كل قوى الإنسان، ظاهرة كانت أو باطنة؛ فتصطبغ عندئذ بها كل أعماله وتصرفاته". [4: ص45]

خاتمة:

أفضي هنا إلى مقام الختام، ومجامع الكلام في هذه المداخلة التي حاولنا من خلالها إبراز مدى الحاجة إلى فقه عصر السيولة بما هو زمن فقد المرجعية والوجهة وفقد المعنى، ولاستنقاد الإنسان من هذا التيه واستعادة إنسانيته المفقودة، لايمكن إلا بتكوين روحي رصين بالرشاد القرآني لإعادة صياغة الإنسان والعمل على إحياء روحه من منطلق الإرشاد القرآني الرباني.

إن النموذج المعرفي المؤسس على الجمع التكاملي بين العقل والقلب على اعتبار أنه محل الروح كما يقول طه عبد الرحمن، هو البديل الوحيد للعلمانية الشاملة التي ازاحت الأخلاق عن الحياة العامة، يقول إريك يونس جوفروا "الغرب الآن بدأ يراجع نفسه ويتراجع عن تطرفه الوضعي الإختزالي المادي الذي قضى على (...) عبق الروحانيات، فلماذا يريد المثقفون العرب أو المسلمون تقليده في خطئه وتطرفه في الوقت الذي يتراجع هو عن هذا الخطأ والتطرف". [16: ص113]

يثبت التاريخ أن الأوبئة والأزمات تغير العالم، وما يعيشه العالم اليوم لا يستطيع أحد أن يتنبأ بعواقبه بدقة كاملة، لكنه لا محالة سيغير النموذج المعرفي الذي ظل مسيطرا على الفكر الغربي طيلة عصر الحداثة وما بعدها، وسينهي القطبية الأحادية ذات حتمية صراع الحضارات، وسيفسح المجال للروحانيات للعودة بقوة واحتلال موقع مهم لأنها البوصلة المفقودة لخلاص البشرية وهذا مجال كبير أمام الاسلام الروحي للعمل والإشتغال لتقديم مشروع الإنقاذ والخلاص ومشروع الشهادة على باقي الأمم يقول تعالى:(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة:143]

قائمة المصادر والمراجع:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت 711هـ) تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب لله، هاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف، (دون تاريخ)، باب الكاف.
[1]- ابن منظور، لسان العرب، باب الراء.
[2]- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، القاهرة: المكتبة التوفيقية، الطبعة السابعة 2015م.
[2]- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، بتصرف يسير.
[2]- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج3 ص5.
[3]- الجوزية ابن القيم، الروح، تحقيق محمد فريد، المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.
[4] - طه عبد الرحمن، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، بيروت: إبداع المؤسسة العربي للفكر والإبداع، الطبعة الأولى 2016.
[5] - المسيري عبد الوهاب، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، يناير 2006.
[6] - طه عبد الرحمن، سؤال الآخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2006.
[7] - باومان زيجمونت عالم اجتماع بولندي، واستاذ بجامعة "ليدز" البريطانية، (1925 – 2017).
[8] - باومان زيجمونت، الحداثة السائلة ، ترجمة: حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2016.
[8] - باومان زيجمونت، الحداثة السائلة.
[9] - شبار سعيد؛ "كورونا، واستعادة مفهوم الإنسان والقيم الإنسانية" موقع مركز دراسات المعرفة والحضارة، 27 مارس 2020.
[10] - باومان زيجمونت ، الحياة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2016.
[10]- باومان زيجمونت ، الحياة السائلة.
[11] - موران إذغار، للخروج من القرن 20 نقلا عن: إريك يونس جوفروا، المستقبل للإسلام الروحاني، ترجمة هاشم صالح، مراجعة أسامة نبيل ، القاهرة المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى 2016.
[8] - باومان زيجمونت ، الحداثة السائلة .
[8] - باومان زيجمونت ، الحداثة السائلة .
[8] - باومان زيجمونت ، الحداثة السائلة .
[8] - باومان زيجمونت ، الحداثة السائلة.
[12] - باومان زيجمونت ، الحب السائل، عن هشاشة الروابط الإنسانية، ترجمة: حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2016.
[13]- سنن الترمذي، كتاب السنة، باب:14.
[14] - هو إيريك بينشاوس فروم، ازداد في عائلة يهودية ارتودكسية متدينة سنة 1900م، بفرانكفورت أكمل دراسته العليا في جامعتي ميونخ وهيدلبرج وهاجر إلى أمريكا هربا من الاضطهاد النازي عام 1932م، واشتغل بالتدريس في الجامعات الأمريكية وممارسة العلاج النفسي، ينظر: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، إيريك فروم، ترجمة وتعليق حميد لشهب، الرباط شركة لداكوم للطباعة والنشر 2003. / ينظر أيضا: الإنسان بين الجوهر والمظهر، إيريك فروم، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، العدد 140،غشت 1989م، ص8. ويعتبر فروم من أبرز رواد المدرسة النقدية؛ و الموضوع الأساسي لجميع كتاباته النقدية هو أن الإنسان "يحس بالوحدة والعزلة لأنه انفصل عن الطبيعة وعن بقية البشر. وكتبه الثلاثة التي كونت شهرته وهي: "الهروب من الحرية"1941 و"الإنسان لنفسه" 1947 و"المجتمع السليم" 1955 تدور كلها حول هذا الموضوع، ينظر: الإنسان بين الجوهر والمظهر، إيريك فروم، ترجمة سعد زهران، ص8 - 10
[15] - فروم إيريك، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، العدد 140، غشت 1989م.
[15]- فروم إيريك، الإنسان بين الجوهر والمظهر.
[15]- فروم إيريك، الإنسان بين الجوهر والمظهر.
[14]- فروم إيريك ، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ، ترجمة وتعليق حميد لشهب، الرباط شركة لداكوم للطباعة والنشر 2003.
[10]- باومان زيجمونت، الحياة السائلة.
[10] - باومان زيجمونت، الحياة السائلة.
[16] - جوفروا إريك يونس ، المستقبل للإسلام الروحاني، ترجمة هاشم صالح، مراجعة أسامة نبيل ، القاهرة المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى 2016.
[15] - إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر.
[4] - طه عبد الرحمن، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر.
[16] - جوفروا إريك يونس، المستقبل للإسلام الروحاني، ص 113.